International Journal of Education and Language Studies
ISSN: 2791-9323

Naziha ZAKOUR [1]

COGNITIVE LINGUISTICS AND MEANING BUILDING THE THEORY OF MENTAL SPACE AS A MODEL

Istanbul / Türkiye

p. 20-28

Article Information

Article Type: Research Article

This article was checked by **iThenticate** No **plagiarism** detected

Article History

Received: 28/03/2022
Accepted: 12/04/2022
published: 01/06/2022

Abstract:

We dedicate this article to research one of the most important linguistic theories represented in cognitive linguistics; The latter, which paid great attention to semantics in its research and studies, and re-inserted it as a basic component parallel to grammar. As a result of these studies, cognitive theories emerged that took upon themselves the study of meaning, its interpretation and consideration of how it is organized between language and mind. It seeks to explain how meaning is constructed and related to context, which it considered a conceptual process, and to study it, it is necessary to take into account the general cognitive principles that contribute to its construction.

In this research paper, an attempt is made to search for meaning within the framework of perceptual significance, as well as according to the theory of mental continuity of Gil Fauconnier, in order to answer the following problem: How is meaning studied? How is it constructed in the text/discourse? This will explain the importance of the mechanisms on which the perceptual significance relied to arrive at the intended meaning, in addition to standing on the most important concepts that Fouconiai brought up in the theory of mental continuity. The desired goal behind this research paper is to define the most important mechanisms presented by cognitive linguistics for the study of meaning, in addition to clarifying the importance of experience and context in interpreting meaning.

Key words: Cognitive Linguistics, Language, Meaning Construction, Context, Mental Space.

http://dx.doi.org/10.47832/2791-9323.2-3.3

[1] Dr, M'sila university,Algeria, naziha.zakour@univ-msila.dz, https://orcid.org/0000-0001-9175-5932

اللسانيات العرفنيّة وبناء المعنى نظرية الأفضية الذهنية نموذجا

زكور نزيهة [2]

الملخص

نخصص هذا المقال للبحث في واحدة من أهم النظريات اللسانية والمتمثلة في اللسانيات العرفنيّة؛ هذه الأخيرة التي أولت اهتماما بالغا للدلالة في أبحاثها ودراساتها، وأعادت إدراجها كمكون أساسي مواز للنحو، ونتيجة هذه الدراسات انبثقت نظريات عرفنيّة أخذت على عاتقها دراسة المعنى، وتفسيره والنظر في كيفية انتظامه بين اللغة والذهن، وهذا ما تبحث فيه نظرية الأفضية الذهنية لفوكونياي؛ حيث تسعى إلى شرح كيفية بناء المعنى وارتباطه بالسياق، والذي اعتبرته عملية تصورية، ولدراسته لابد من الأخذ بعين الاعتبار المبادئ العرفنيّة العامة التي تساهم في بنائه.

وفي هذه الورقة البحثية محاولة للبحث عن المعنى في إطار الدلالة العرفنيّة، وكذا وفق نظرية الأفضية الذهنية لجيل فوكونياي، وذلك قصد الإجابة عن الإشكال التالي: كيف تتم دراسة المعنى؟ وكيف يتم بناؤه في النص/الخطاب؟ وهذا ما سيوضح أهمية الآليات التي اعتمدت عليها الدلالة العرفنيّة للوصول إلى المعنى المقصود، إضافة إلى الوقوف عند أهم المفاهيم التي جاء بها فوكونياي في نظرية الأفضية الذهنية. أما الهدف المرجو من وراء هذه الورقة البحثية هو التعريف بأهم ما قدمته اللسانيات العرفنيّة من آليات لدراسة المعنى إضافة إلى توضيحها لأهمية التجربة، والسياق في تفسير المعنى.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العرفنيّة، اللغة، بناء المعنى، السياق، الأفضية الذهنية.

المقدمة:

يتفق الباحثون على أنّ اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، إلا أنّ الاتجاهات اللسانية قد تباينت واختلفت باختلاف المفكرين، وتوجهاتهم الفكرية، وطبيعة معالجتهم للغة، وعليه ظهر تياران متمايزان وهما التيار الوصفي، والتيار التوليدي، إلى أن وقع في هذا الاتجاه الأخير انقسام كانت نتيجته رفض مبدأ مركزية التركيب، وأقاموا استرسالا بين المعجم، والنحو، والدلالة، وإذا ما تم البحث في سبب هذه الثورة المعرفية التي ظهرت سيتبين أنّ لدراسة المعنى الأثر الأكبر في حدوثها، ليعلن بعد ذلك ميلاد اتجاه لساني جديد تمثل في اللسانيات العرفنيّة.

اللسانيات العرفنيّة: يعود استعمال مصطلح اللسانيات العرفنيّة(Cognitive Linguistics) إلى عام 1975م، إذ استعمله لايكوف لأول مرة عندما تخلى عن محاولته المبكرة لتطوير علم الدلالة التوليدي من خلال دمج نحو تشومسكي التحويلي بالمنطق الصوري، وقد استهل تعاونه مع الفيلسوف مارك جونسون عام 1979م بتأليفهما كتاب(الاستعارة التي نحيا بها) عام 1980م؛ حيث كان أول تأليف يلفت نظر جمهور واسع إلى اللسانيات العرفنيّة. (محمود، 2022، صفحة 29)

وتجدر الاشارة إلى أنّ مصطلح اللسانيات العرفنيّة لا يتسم بالثبات والاستقرار كما في كثير من المصطلحات الأخرى التي نستعملها في دراساتنا العربية؛ لأنّها دراسات تهتم بالمنتج العلمي الغربي، فيعمل العلماء، والباحثون العرب على ترجمته إلى العربية، ولهذا فإنّه يُعاني مما تعاني منه أغلب المصطلحات المنقولة من تعدد صور النقل، فنجد من يطلق عليها مصطلح(اللسانيات الإدراكية وهو ترجمة للمصطلح الانجليزي cognitive Linguistics وهو ترجمة لمعناه، ومن الممكن أن نجد من يطلق عليها مصطلح اللسانيات المعرفية وهو يعني المعنى نفسه، أو اللسانيات العرفانية، أو العرفنيّة، أو العرفانيات، أو اللسانيات الاستعرافية، وجميع هذه المصطلحات وسواها مما يمكن أن نجده في هذا الباب بمعنى واحد أو ذات مفهوم عام واحد. (عباينة، 2021، صفحة 97)

وقد تم تعريف اللسانيات العرفنيّة من الناحية اللغوية: العرفان مصدر من عرف الشيء وقد استعمل قديما بمعنى العلم.

[2] د.، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، naziha.zakour@univ-msila.dz

أما **اصطلاحا: العرفنيّة** Cognitivisim عند أهل النظر نهج في التفكير عُرف منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين. ولعل بوادره كانت في علم النفس والفلسفة، ومنها سرت مبادئه إلى علوم أخرى منها اللسانيات. (الصفاقسي، 2010، صفحة 86) فاللسانيات العرفنية تهتم بدراسة اللغة في ضوء العمليات الذهنية العرفنية؛ حيث يتضافر فيها الذهن، والذكاء مع العلوم الأخرى كالفلسفة، وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، وعلوم الأعصاب، واللسانيات، والأنثروبولوجيا. (الزناد ا.، 2010، صفحة 15) كما تقوم على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية، والذهن، والتجربة بما فيها الاجتماعي والماديّ والبيئيّ. (الزناد ا.، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، 2011، صفحة 21)

وعليه فاللسانيات العرفنيّة هي دراسة اللغة من حيث هي مبحث يتكامل مع ما هو معروف عن الذهن البشري؛ حيث تعتبر اللغة انعكاسا للذهن البشري. كما تهتم بالنظر في طبيعة العمليات الذهنية في اكتساب المعارف واللغة وطرائق استعمالها، وتهدف إلى الكشف عن طبيعة البنية الذهنية وأوجه انتظامها، وذلك من خلال تحليل الاستراتيجيات العرفنية التي يعتمدها الإنسان في تفكيره ونمط تخزينه للمعلومات، وطريقة معالجته للغة إنتاجا وفهما. (طعمة و وأخرون، دراسات ف اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، 2019، صفحة 96)

إنّ اللغة من منظور اللسانيات العرفنيّة لا تنفصل عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة، والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء، ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة، والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي يتأثر بلا شك بكيفية إدراكها، فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة. (عز الدين و الربيع ، 2019، صفحة 64)

تعدد الأبحاث والاجراءات في مجال اللسانيات العرفنيّة سببه سعي المفكرين العرفنيين لإيجاد حلول للصعوبات التي تواجههم في تفسير عملية إنتاج المعنى وتأويله في مختلف مظاهر الانتاج التي تتخذ المعنى محورا لها، ومن هذه الاتجاهات نذكر: نظرية الدلالة التصورية لـ: جاكندوف؛ حيث اعتبر أنّ البنية الدلالية هي البنية التصورية، ونظرية الأفضية الذهنية لـ: فوكونياي وما يميز النظريات العرفنية هو منهجها القائم على المقاربة النفسية والمعرفية في تفسير إنتاج المعنى؛ أي أنّ ميدانها هو الذهن، لذا تكثر فيها المصطلحات من قبيل: التمثيل الذهني، الفضاء الذهني، الاسقاط، سيرورة المعنى في الذهن أو الدماغ، التصور. (جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديث، 2000، صفحة 47)

تعد الدلالة العرفنية قسم من أقسام اللسانيات العرفنية الذي اهتم بدراسة المعنى؛ حيث عرفت بأنّها دراسة العلاقة القائمة بين التجربة والعرفان والغة، أما دراسة المعنى في ضوء الدلالة العرفنية فقد قام على تصور جديد تجاوز فيه المعنى اللغوي المعنى المعجمي، والمعنى المتقوّم بالسّمات الدّلالية المجرّدة باستقراء الاستعمال، ليصبح عملية فكرية تتشكل بمقتضاها صورة من الصّور الذهنية، فالمعاني من منظور الدلالة العرفنية لا يكون عبر شروط الصدق في المنطق الصوري، ولا تحصل في ما يكون من التطابق الموضوعيّ بين الكلمات والأشياء في العالم الخارجي، إنّ المعاني عند العرفانيين تحصل في الذهن وتكون عبر آلية الفهم أو المفْهمة Conceptulisation (طعمة و وأخرون، دراسات ف اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، 2019، صفحة 97)

مفهوم الدلالة العرفنيّة: برزت الدلالة العرفنيّة في سبعينيات القرن العشرين بوصفها رد فعل على التصور الموضوعي للعالم الذي بلوره التقليد الفلسفي الأنجلوأمريكي في الفلسفة والتخصصات المرتبطة بها، الذي تجلى في ما عرف بدلالة شروط الصدق التي تصفها سويتسر 1990، وهي رائدة من رواد الدلالة العرفنيّة، بأنّ دلالة شروط الصدق يتصورها المعنوي بوصفه علاقة بين الكلمات والعالم، تلغي التنظيم المعرفي من النسق اللغوي.

وتهتم الدلالة العرفنيّة ببلورة نموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني وما يحفزها، وذلك انطلاقا من خصوصيات الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه؛ أي إنّ الدلالة العرفنية تبحث في العلاقة بين التجربة والنسق التصوري والبنية الدلالية التي ترمّزها اللغة، وتدرس الدلالة العرفنية الانسقة التصورية، والمعنى، والاستنتاج، إنّها تدرس إجمالا التفكير البشري. (العامري، 2020، صفحة 365) وعليه فالدلالة العرفنيّة هي دراسة العلاقة القائمة بين التجربة، والعرفان، واللغة.

وتقوم الدلالة العرفنية على أربعة مبادئ أساسية تتمثل في:

1. البنية التصورية مجسدنة.
2. البنية الدلالية هي البنية التصورية.
3. تمثيل المعنى موسوعي.
4. بناء المعنى هو بناء التصورات.

وفيما يلي تفصيل موجز لهذه المبادئ كما جاء بها فيفيان إيفنس، وميلاني غرين؛ فتعتبر البنية التصورية بنية مجسدة لكونها تسعى إلى اكتشاف طبيعة التفاعل البشري مع العالم الخارجي والوعي به، وبناء نظرية للبنية التصورية تنسجم مع الطرق التي نجرب أو نختبر بها العالم؛ حيث تتمسك هذه الاطروحة بأنّ طبيعة التنظيم التصوري تنشأ من التجربة الجسدية، وبالتالي أحد الأجزاء التي تجعل للبنية التصورية مدلولا هي التجربة الجسدية وما ترتبط به.

أما اعتبار الدلالة هي البنية التصورية فأساسه أنّ اللغة تحيل على تصورات في ذهن المتكلم بدلا من الإحالة إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، وبعبارة أخرى البنية الدلالية(المعاني المقترنة وضعيا بكلمات ووحدات لغوية أخرى) يمكن أن تتكافأ مع التصورات، ومع ذلك فإنّ التصور القائم على أنّ البنية الدلالية يمكنها أن تتساوى مع البنية التصورية لا يعني أنّهما متطابقان، مما يعني أنّ الكثير من الأفكار، والتصورات، والأحاسيس التي نملك هي أكثر مما يمكننا تشفيره وضعيا في اللغة؛ فيعتمد العرفنيون في تفسير هذا الارتباط بين البنية الدلالية والبنية التصورية من خلال الجملة المبنية للمعلوم، والمبنية للمجهول اللتين تعكسان الطريقة التي نتعامل بها مع الأشياء بالتقديم والتأخير في تجاربنا.

في حين موسوعية تمثيل المعنى فتعني أنّ الكلمات لا تمثل رزما مكدسة صرفة للمعنى، ولكنها تشتغل كنقاط وصول إلى مخازن فسيحة من المعارف المرتبطة بتصور خاص أو مجال تصوري، أما المبدأ القائل إنّ بناء المعنى هو بناء التصور فقوامه أنّ اللغة لا تشفر المعنى بل إنّ الكلمات(الوحدات اللغوية) هي حاثات(Protmpts) فقط لبناء المعنى، مما يعني أنّه يتم بناء المعنى في المستوى التصوري؛ أي بناء المعنى يعادل بناء التصور. (دحمان، 2012، صفحة 45إلى47) وذلك يعني أنّ المعنى يأخذ من المعارف الموسوعية. ولقد عرف بناء المعنى توسعا مع دراسات جيل فوكونياي الذي أكد على دور الترابطات المحيلة بين الأفضية الذهنية المتمايزة، والتي تُبنى خلال انبناء الخطاب؛ أي وفق سيرورة مباشرة(online)

فعلم الدلالة العرفنية بيّن أنّ اللغة لا تحيل على حقائق موضوعية بل إلى تصورات، والمعنى الذي تشير إليه الوحدات اللغوية متصل بالتصورات الذهنية والأفكار، كما أنّ انتاج المعنى يكون من خلال علاقة تفاعلية بين البنى التصورية، والوعي البشري بالعالم الخارجي وخبراته الحسية، إضافة إلى فكرة التجسيد التي تعمل على توظيف الوحدات اللغوية كمثيرات لبناء المعنى.

والمعنى العرفاني يحيل على معنى ذهني لا يرتبط بالواقع ارتباطا مباشرا، ذلك أنّ مفردات اللغة لا تشير إلى حقائق واقعيّة بقدر ما تشير إلى كيفيّة تمثّل الذهن لهذه الوقائع، لذلك فإنّ هذا المعنى لا يرتبط بالواقع إلا بصفة عرضية وهذا ما يبرر اختلاف اللغات في تحديد المعنى العرفاني لبعض مقولات الترادف. (حمودة، 2017، صفحة 113)

يستدعي إنتاج المعنى معرفة موسوعية، فقد تمت الإشارة سابقا إلى أنّ المعنى موسوعي، وعليه فإنّ إنتاجه لا يقتصر على المعرفة اللغوية فقط، فالمعرفة المجردة بالقوانين اللغوية ليست كافية لصناعة المعنى، لأنّ المبادئ العامة في اللغة متجذرة في العملية الإدراكية، والمعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة، وتعد الاستعارة في اللغة استراتيجية وآلية ذهنية يدرك الإنسان بها معنى الأشياء من حوله، خاصة في إدراك المفاهيم المجردة، فهي تعد عملية ذهنية إدراكية، ذلك أنّ منظومتنا الذهنية الأساسية هي في الأساس ذات طابع استعاري، ودلالة الكلمات في اللسانيات الإدراكية ليست معنى حقيقي يوجد في الألفاظ، فالمعاني ذهنية في شكل بنية تصورية. (التميمي، صفحة 294)

وفي إطار الأبحاث العرفنيّة التي تقرّ بمركزية المكون الدلالي يتحدد معنى الجملة في تصور المتكلمين وأفهام السامعين، فالتركيب اللغوي لم يعد هو مركز الاهتمام كما كان عند تشومسكي، بل هو مجرد بنية لفظية ترمز لما يحدث في الذهن من بنية دلالية تصورية فحسب Lakkoff لا وجود لكائن لغته محض تركيب، وشكل معزول ومستقل عن المعنى وعن السياق والإدراك والعاطفة، والذاكرة، والانتباه، والفعل ، والطبيعة الدينامية للتواصل.

ولأنّ المعنى هو المفتاح الرئيسي لفهم اللغة، فاللغة تقوم بوظيفة التعبير عن المعنى ليس بوصفه محتوى سابقا يحمله وعاء الألفاظ، وإنّما بوصفه عملية دينامية يتشارك فيها الاستقبال المعرفي والتمثيل الصوري، وعليه فالمعنى في ظل الدراسات العرفنيّة يحيل على معنى ذهني لا يرتبط بالواقع ارتباطا مباشرا، ذلك أنّ مفردات اللغة لا تشير إلى حقائق واقعية بقدر ما تشير إلى كيفيّة تمثّل الذهن لهذه الوقائع لذلك فإنّ هذا المعنى لا يرتبط بالواقع إلا بصفة عرضية، وهذا ما يبرر اختلاف اللغات في تحديد المعنى العرفنيّ لبعض مقولات الترادف. (حمودة، 2017، صفحة 113)

وفي إطار الدلالة العرفنيّة يدرس المعنى على أنّه موسوعي ويعني ذلك أنّ الكلمات لا تمثل رزما مكدسة صرفة للمعنى، ولكنّها تشتغل كنقاط وصول إلى مخازن فسيحة من المعارف المرتبطة بتصور خاص أو مجال تصوري، ووفق هذه النظرة يتضح ان المعنى الوضعي المقترن بكلمة مفردة يعد" حاثا" فقط لعملية بناء المعنى؛ أي اختيار الترجمة المناسبة تبعا لسياق الملفوظ. بصفة أعم يتمثل معنى ما في مضمون مفهومي وطريقة مخصوصة في انبناء ذلك المضمون في آن، وتحيل كلمة(انبناء) على قدرتنا الظاهرة على أن نتصور ونصف الوضعية الواحدة بطرق متنوعة بعضها بديل عن بعض، فإذا كان أمامنا كوب من الماء يحتل نصف حجمه، من المفترض أننا قادرون في المستوى المفهوميّ على استحضار هذا المضمون بطريقة محايدة تماما، ولكن ما إن نشفّره لغويا نفرض عليه بالضرورة انبناء معيّنا، فيمكن أن نعبر عن المضمون المفهومي بجمل مختلفة؛ حيث يكون لكل منها انبناء مخصوص:

الكوب الذي فيه ماء(يعين الحاوية)

الماء الذي في الكوب(تعين الماء الذي يحتويه)

الكوب نصف مليء(تعيين العلاقة التي يكون فيها الحجم الذي يشغله السائل هو بالتحديد نصف حجمه المحتمل)

الكوب نصف فارغ(تعين العلاقة التي يكون فيها الحجم الذي يشغله الفراغ هو بالتحديد نصف حجمه المحتمل) (لانقاكر، 2018، صفحة 81)،

وعليه يتضح أنّ الوحدات اللغوية هي" حاثات" فقط لبناء المعنى، الذي يعد بدوره بناء للتصور؛ حيث يؤكد جيل فوكونياي على دور الترابطات والصلات المحيلة بين الأفضية الذهنية المتمايزة أو رزم تصورية من المعلومات التي تُبنى خلال سيرورة مباشرة لبناء المعنى؛ بمعنى أنّ هذه الأفعال التصورية تنجز على أساس ثانية بثانية أثناء انبناء النص ودون إدراك واع. وفيما يلي بحث في ماهية الأفضية الذهنية، أو كما تسمى أيضا الفضاءات الذهنية كما جاء بها فوكونياي.

نظرية الأفضية الذهنية ظهرت مع عمل جيل فوكونياي عام 1984 بالفرنسية، وعام 1985 بالإنجليزية؛ حيث أول كتاب تعرض لها، ووضع أسسها هو كتاب: الأفضية الذهنية: مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية. وتكمن أهمية هذا العمل الذي قدمه فوكونياي أنّه بيّن أنّ أدوات المنطق الصوري تخفق حين تواجه جميع ظواهر اللغة الطبيعيّة. ورأى أنّ ما يُحتاج إليه بدلا من ذلك، إنّما هو نظريّة عرفنيّة: نظرية تقوم على قدرات الذّهن الإنسانيّ لا على قدرات الأنظمة الرّياضيّة التي يستعملها المناطقة (أبغش، 2018، صفحة 34)

لكونها نظرية ذهنية، فقد ارتبطت بها مصطلحات تتسم بالطابع الذهني على غرار الفضاء الذهني، مبدأ الاهتداء، بناة الأفضية، الفضاء الأب، الفضاء الابن، القادح، الهدف...وفيما يلي إحاطة بأهم المفاهيم التي قامت عليها هذه النظرية.

الأفضية الذهنية:

يعرفها فوكونياي في كتابه Mappings in thought and language بأنّها أبنية جزئية تتكاثر حينما نفكر ونتكلم؛ حيث تمكن من تقسيم دقيق للبنية المعرفية والبنية الخطاطية. (Fauconnier.G, 1997, p. 11)، والأفضية الذهنية هي متصورات نظرية وضعت في الدلالة العرفنية لتيسر جوانب من بناء المعنى مهمة، فتتصور أنّها أماكن، أو أطر، كثيرا ما تبنيها أدوات معجمية أو نحوية تنشأ في سياقات تحل فيها المعلومات الدلالية- التداولية وتنتظم تبعا

لمظاهر من الخلفية المعرفية، وكثيرا ما يمثل العالم الواقعي- أو تصور المتكلم لما عليه ذلك العالم- باعتباره فضاء الواقع/ الفضاء الأساس. (أبغش، 2018، صفحة 40)

والأفضية الذهنية هي أبنية وقتية وافتراضية تُبنى، وتتحرّك أثناء الخطاب، ويتطور المعنى ويتغير في هذه التمثيلات الذهنية بتطور سيرورته، فعندما نفكر، وعندما نتكلم تنشط مجموعات من العصيبات المجتمعة، ويحدث بينها ترابط من جراء تنشيطها تنشيطا مشتركا. وهذا يحدث في أنشطتنا العادية، وفي كلامنا لأنّه ما من نشاط إلا وهو مركب، وما من كلام أو تفكير إلا وهو مركب. (توفيق، 2015، صفحة 205) وعلى سبيل المثال قول أحدهم: كان أحمد طالبا متميزا العام الماضي

ولأنّ الأفضية الذهنية تمثل أبنية ذهنية وقتية، وافتراضية تبنى وتحرك أثناء الخطاب، اعتمادا على الأطر، وأنّ الترابط بين هذه الفضاءات الذهنية قوامه روابط التماثل، يمكن اختصار مفهومي كل من الأطر وروابط التماثل فيما يلي:

الأطر: تعرف الأطر بكونها تمثلات أو تصورات منظمة لوجوه اشتغال الكون، وهذه الأطر تمكننا من استعمال كل ما يتوفر من معطيات وإجرائها في وجوه عديدة ممكنة تضمن التفاهم على أساس واضح غير مكلف؛ حيث تحيل الوحدة الجارية على معناها، وتفهم دون عناء ما كان الإطار الذي تدخل في تكوينه ماثلا في الذهن (الزناد ا.، 2010، صفحة 204) وهكذا يمكن اعتبار الإطار هو ما تثيره الوحدة المعجمية من تمثلات وتصورات تدور في نفس الحقل الدلالي

إنّ الإطار إضافة إلى كونه يتضمن الوحدات التي تشكله فإنه يتضمن أيضا دور هذه الوحدات سواء كانت مفردة أو متعددة، وتحديد الأدوار لهذه الوحدات يكون في ضوء تأطير للتجربة الفيزيائية المادّية أو الثقافية الاجتماعية، فالدور الذي تلعبه الوحدة يكون بناء على تصورنا لبنية الإطار الذي تكون فيه الوحدة. ومن أمثلة ذلك أنّ دور الأبوّة والبنوّة لا يتصوّر إلا في إطار الأسرة، وكذا الأستاذ، المدير، المتعلم، وما إليها تفهم في إطار المدرسة. وأثناء الحديث عن الأطر فقد نبه فوكونياي أنّ بنية الأطر، والأدوار تمثل واحدا من أحسن ما يمثّل الاهتداء العرفنيّ الاختلافيّ، ومن أمثلة ذلك قولنا:

للمدير أنف أفطس

حيث تنتسب الصفة إلى الشخص في ذاته لا إليه قائما بدور المدير (الزناد ا.، 2010، صفحة 205)، أو تسند إليه صفتان أو أكثر بناء على تعدد الأدوار كما في قولنا:

جمال مقاتل ممتاز، وصديق رائع، ولكنه مدير فاشل.

الروابط: تترابط عناصر الأفضية الذهنية بروابط؛ حيث تقوم هذه الأخيرة بالربط بين الفضائين الذهني الافتراضي، والفضاء الواقعي من غير أن تفيد هذه الروابط أنّ عناصر الفضاءين لهما السمات والخصائص نفسها، وعادة" يتحقق الترابط في أداة أو قرينة ظاهرة" (الزناد ا.، 2010، صفحة 206) ولأنّ البنية اللغوية تعكس، وبكل دقة مظاهر العرفنة البشرية، وما يساعد على ذلك هي التجربة؛ فتكون لنا القدرة على تسمية الأشياء، والاهتداء إلى المقصود منها بالاعتماد على الترابطات العرفنيّة، وهذا ما سيوضحه المثال التالي في قول أحدهم مثلا:

امرِؤ القيس الملك الضليل. كان في عصره شاعر الجزيرة العربية.

حيث إنّ المركب الحرفي في عصر(ه) باني فضاء، فينشئ فضاء جديدا هو(العصر الجاهلي) فنلاحظ أنّ الضمير(ه) يحيل على شخص واحد هو" امرؤ القيس" وهذا ما يعرف في الدراسات اللغوية بالإحالة بالضمير، والعبارة المعتمدة(ه) تسمى العائد، والعبارة التي تعتمد عليها في بيان معناها تعرف بالمفسر(امرؤ القيس) وقد ذكر ايفانس وقرين أنّ في إنشاء علاقة بين العائد، والمفسر نوعا من الاستدلال، فهو تأويل نحصل عليه بإنشاء تقارن إحاليّ بين العبارتين، والسبب في اعتماد العائديّة على الاستدلال افتقار العبارة(ه)- على خلاف الاسم" امرؤ القيس- إلى خصائص دلالية لبيان مرجعها الذي تنفرد به: ذلك أنّها يمكن أن تحيل على أيّ كيان مذكر؛ أي إنّ على السامع/القارئ أن يحصل على الكيان المحال عليه بالبحث في السياق عن المرشح المناسب. ومما لا شك فيه أنّ لذلك البحث ضوابط ينضبط بها، منها أنّ الضمير يعود إلى أقرب مذكور يوافقه نحويا ويطابقه. (أبغش، 2018، صفحة 50/51)

تتكاثر الأفضية الذهنية أثناء انبِنَاء الخطاب، فالفضاء الذهني الواحد يقود إلى بناء وتوليد أفضية ذهنية أخرى جديدة، وقبل الحديث عن بواني الأفضية نعرج للتعريف بالفضاء الذهني.

الفضاء الذهني: هو جملة المعلومات المنظمة المتعلقة بالمعتقدات، والأشياء، ويتكون من عناصر، وليس من الضروريّ أن تكون لتلك العناصر مراجع(في المعنى السوسيري) وقد يحدث أن يطابق فضاء ذهني حالا من حال الأشياء في الكون(مطابقة كلية أو جزئية) فيكون التطابق بين عنصر من عناصره، وشيء من الواقع، ويكون التطابق بين خصائص ذلك العنصر، وخصائص الشيء الواقعي. ويمكن أن يمثل الفضاء الذهني عالما متخيلا منبنيا بوجه من الوجوه فليس من الضروريّ أن يكون خاضعا للتّقييم العقليّ المنطقي فيعتبر مستقيما أو غير منطقيّ (الزناد ا.، 2010، صفحة 206) ولأنّ الفضاء الذهني بنية عرفنيّة تنبني فيها المجالات، وتنتظم اعتمادا على جملة من الروابط.

أنواع الفضاء الذهنيّ: في هذا السياق يمكن الإشارة إلى أنّ الفضاء قد يكون

الفضاء الأساس: وهو الذي يعبر عن عالم الواقع؛ أي حالة الموضوع الذي يجري الحديث عنه كما في الواقع.

الفضاء الابن: وهو فضاء يتم الاهتداء إليه من خلال تطابقه مع نظيره الفضاء الأساس.

والمثال التالي سيوضح نوعي الفضاء الذهني ففي قولنا:(في الصورة تبدو خولة أجمل.) هنا الفضاء الأساس يتمثل في ما نفهمه من خلال الجملة أي ملامح خولة في الواقع، أما الفضاء الابن فتمثله عبارة(في الصورة) أين تبدو ملامح خولة أجمل (الزناد ا.، 2010، صفحة 207).

وبناء الأفضية الذهنية يحتاج إلى أدوات وآليات عرفت ببناة الأفضية.

بناة الأفضية: هي آليات تتباين في الخطاب فقد تكون(مركبات أو وحدات نحوية) كلها تعمل مجتمعة على بناء الخطاب، وهنا يمكن الإشارة إلى أن فوكونياي اعتبر أنّ" العبارة اللغوية ليس لها معنى في ذاتها؛ بل لها معنى ممكن، وإنّه فقط في الخطاب التام، وفي السياق ينتج المعنى فعليا" (أبغش، 2018، صفحة 40) وعليه يمكن القول إنّ المعنى يتحقق اعتمادا على كل من القرائن اللغوية، والسياقية والمقاميّة. وعلى الرغم من أهمية القرائن النحوية فإنّها غير كافية لوحدها لتحديد بناء الخطاب، ومعناه. وقبل الحديث عن الأدوات النحوية المساهمة في بناء الأفضية الذهنية نوضح أنّ:

بناة الافضية هي آليات يستعملها المتكلم ليجر سامعه إلى تأسيس فصاء ذهني جديد، وهي العبارات المتحققة في الخطاب(مركبات أو وحدات نحوية) تؤسس فضاء ابنا لفضاء أساس يترابطان بوجه ما، ولا تحمل بناة الأفضية في ذاتها معلومات عن الفضاء الجديد، ويتكون من الأسماء، والصفات، وكل ما يعبر عن الزمان، والمكان، وغيرهما من الأطر الافتراضية. أما اشتغال بناة الأفضية فيكون في جميع مفاصل الخطاب؛ حيث إذا وردت في بداية الخطاب أسست فضاء ذهنيا أساسا، وإذا ما كانت في ثنايا الخطاب أسست فضاء جديدا يضاف إلى سابقيه. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ بناة الأفضية ليس بالضرورة أن تكون لغوية فقد تنشأ أفضية جديدة، وتتأسس بأدوات غير لغوية من قبيل الهيأة، أو عناصر المقام.

ومن بناة الأفضية الذهنية ما يعتبر أطرا لحدث القول أو الكتابة، وهي عبارات تُبنى عند السامع، بفعل التعود، تطلعا إلى نوع مخصوص من الإطار تجري فيه الأحداث، وتتموضع فيه الأشياء. ومن ذلك وعلى سبيل الذكر ما يكون في الخرافات، والنوادر، والمقامات...إلخ وأيضا من الأدوات بناة الأفضية البسملة، وما إليها من فواتح الخطب وأسماء الإشارة إلى المكان من قبيل" هنا لندن" ومنها يحدثكم فلان. في المراسلات الإعلامية، وفي" كان يا مكان في قديم الزمان" أو" يحكى أنّ" أو" زعموا أنّ" و ما إليها في الخرافات أو الأمثال. أضف إلى أنّ هناك أدوات تبني الأفضية الممكنة، والتي تعبر عن الإمكان كالتمني، والتوقع، والالتماس، وما إليها، وعن الشرط، وما يلابسه من الظرف، وذلك من قبيل حروف الشرط" إن" و" لو" والتي تبني فضاء ذهنيا يكون فيه مضمون العبارة بعدها قائما وإن افتراضيا. (الزناد ا.، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، 2011، صفحة 207/208)

إنّ بناء الأفضية الذهنية يكون متزامنا مع تفكير، وحديث المتكلم؛ أي يكون آني، ومن بين بناة الأفضية العبارات النحوية التي تقوم بإنشاء فضاء جديد، أو تنقل البؤرة إلى فضاء حاصل؛ حيث من صور بواني الأفضية النحوية نجد على سبيل المثال؛ المركبات الحرفية، والظروف، أدوات الشرط، والتخيير، ومركبات الفعل- الفاعل(من أبرزها سياقات الاعتقاد) (أبغش، 2018، صفحة 43) وتكون بعدها جملة فرعية مثل(يظن زيد[أنّ عمرا يريد قهوة]) حيث إنّه من أبرز خصائص بواني الأفضية أنّها تقود السامع/القارئ إلى إنشاء تصورات ذهنية تتجاوز الزمان، والمكان المتواجد بهما، فإما

تقود للعودة إلى الماضي أو تحمله إلى توقع المستقبل، كما تحيله على أماكن تتجاوز المكان الذي يكون فيه أو تضعه أمام مقامات افتراضية أين تتبين له أفكار، ومعتقدات جديدة.

وما نخلص إليه هو أنّ نظرية الأفضية الذهنية نظرية دلالية بامتياز تبحث في الترابط النص/ الخطاب، وفي تجلي المعنى، وكل ذلك يكون بناء على توظيف جملة من القواعد، والأسس قامت عليها نظرية الأفضية الذهنية بداية من الفضاء الأساس(فضاء الواقع) إلى الأفضية التي تتولد عنه، والترابطات التي تكون بين هذه الأفضية، ويُهتدي إليها عن طريق بناة الأفضية، ومبدأ الاهتداء، هذه وغيرها من المصطلحات التي قدمتها نظرية الأفضية الذهنية كآليات تساعد على التوصل إلى المعنى المقصود من الخطاب/ النص، وكل هذا بالاشتراك مع المؤثرات الثقافية، والتداولية بين المتخاطبين(الملقي/ المتلقي)؛ حيث اعتبر فوكونياي أنّ للسياق دور فعال في انبناء المعنى وفهمه.

كما اعتبر أنّ بناء المعنى وفق نظرية الأفضية الذهنية يقوم على مبدأ عام نصه كل مفهوم يقتضي لتمثيله فضاءين ذهنيين، يكون الواحد منهما أوليا، والآخر تابع له، وعملية التوصل للمعنى المقصود لا تقوم دائما على البناء الشكلي للغة.

قائمة المراجع:

الأزهر، ا .(2010) .نظريات لسانية عرفنية .(éd. 1)الجزائر :منشورات الاختلاف.

الأزهر، ا .(2011) .النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية .(éd. 1)مركز النشر الجامعي.

توفيق، ق .(2015) .الشعرية العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة .(éd. 1)تونس :دار نهى للطباعة.

جليلة، ح .(2017) .المعنى وآليات مقولته في اللغة العربية مقاربة دلالية عرفانية .(éd. 1)تونس :الدار التونسية للكتاب.

جنان، ب .ا .(s.d.) .المعنى من اللغة إلى الذهن .مجلة بحوث كلية الآداب،p. 291.

رونالد، ل .(2018) .مدخل في النحو العرفنيّ) .(éd. 1)ا .الأزهر، (.Trad تونس :دار سيناترا.

عبد الرحمن محمد، ط.، & و آخرون .(2019) .دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع .(éd. 1)مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي.

عبد الرحن مجيد، م .(2022) .اللسانيات المعرفيّة دراسة مقاربة للمنظور اللساني الحديث والنحو العربي .(éd. 1) الأردن :دار كنوز المعرفة.

عبد العالي، ا .(2020) .الدلالة المعرفية وهندسة المعنى .مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية،(8)28 ،.p. 365

عبد المجيد، ج .(2000) .مدخل إلى الدلالة الحديثة .(éd. 1)المغرب :دار توبوقال للنشر.

عز الدين، ع.، & الربيع، ب .(2019) .مفاهيم لسانية عرفانية .مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب،03 ، .p 64.

عمر، ب2012) .، جانفي .(دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي .مجلة الخطاب(10)،p. 45 إلى 47.

محمد، ع أ .(2018) .الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها .(éd. 1)تونس :يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع.

منامة حمزة، ا2010) .، سبتمبر .(الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب الاعراب في انتاج الكلالم وتأويلة.

يحي، ع .(2021) .مقدمة في اللسانيات الإدراكية تأملات في النظرية اللغوية الحديثة .(éd. 1)الأردن :ركاز للنشر والتوزيع.

مراجع باللغة الأجنبية:

G Fauconnier .(1997) .Mappings in thought and langauge .Cambridge University Press.